

إلى روح أبي..

عن المحبة دون ضفاف

روى تربتك دافق النور، ولن يتعزى الفؤاد بالعود من رحلة لا عودة منها، فاني أخالك تضحك بملء فيك عبر عوالم وسيمفونيات الملكوت، ها قد دفات رمسك خيوط شمس الصباح، ضريحك الندي يحتفي بماء الزهر والورد والند، وتلك بعض تلاوين عشقك في خضم الأناشيد والأذكار والألحان التي تزويج الجسد وتحرك عبراتك بما جاش في دواخل الفؤاد. حنانك، فعشقتك وولعك لإحتجاجان لصدق الشمس والقمر وليلنا البهيم والضحي والليل إذا سجي.

لا زلت طفلا: بكاء وبسمة، على نغماتك تتفرق المحبة بألف لغة وإشارة، تزلزلي كلماتك المائلة على ألحان كوكب الشرق، البخار الساحر وعطر البهارات والزيت الحارق، ترانيم صمود وكفاح لكائن لا يزدهي بأية بطولة غبية بل، بيتجان بساطة تعطرها

صباحات الجسد المشوم بعدايات ولذاذات الرحلة التي أحسست أنها لن تطول مهما طالت، فالأحبة يسافرون تباعا، ولا بد للوديع أن ترد لمودعها.

تملاني كلماتك المنعثة من صدقك البومي، وليس للصادقين إلا صدقهم، ومن المؤسف أنها النورس أن تكون الحياة هي هذه وأن لا تسير إلا على هذا المنوال، كم من شتيمة بذية أو كف

قاسية هوت علي، وراحت بعد ذلك بردا وسلاما، لأن عمقك وإكسبرك الداخلي لم يصرفا الحقد البشري المقيت في أي زمن نحوي أو واقعي أو فلسفي تجاه أي كائن، فما بالك بفلذات الأكتباد ونغمات الفؤاد الأصدق أن الكلمات خذلتك في النهاية، وأن المسافة خانتك أخيرا وأن الألم ممتد بافق وعمق المدينة؟

أيها النورس الباسم، إن قاموس المحبة لا يقاس بالسياتك الغبية، ولا بفتائل الحرير والعقيق أو قطع الذهب والفضة والنحاس، سر باذخ يتأني عن الأبعاد والمقاييس، بعد كينوني لا نفلح في توصيفه أو تصنيفه ضمن ترسيمة من المقاييس والتنميط والبرمجة، انه امتداد إجرائي عظيم يخترق صميمية الكون ويهزأ من العدم جميعا.

يخذلي القلم بامسافرا عبر الملكوت، أن تحيي بفن البساطة يعني أن تستخف بكل الخطابات الصماء وقواميس الكلس والحجر التي تغلو فقاعاتها في زمن العنكة والجندي والشكلية.

بين المفلاة والمذباغ والمانيوتوفون والأسفنج وسيول الحرائر والأنوار المبهرة وأم كلثوم والحلويات مسافة فرح لاتسبجها

الأوقاق والمراسيم ولغات الخشب، فبين المعجون والملحون والحلباب والطربوش والسماع والأندلسي راقت لك التلقائية المتسامية عبر روح

الأعماق وفرح الإنسان. يسبح القوسان هذا الكائن الغريب (الميلاد والرحيل) ثم الهباء، فما بال الهباء والعراك والتهاوت والعبث؟ ثمة ناقوس برن في نهاية الدرب، لعله يرثي لكل من يدب على وجه البسيطة: عش حياتك قبل أن تموت، وما الحياة إلا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع...

يدفن بعضنا بعضا وتمشي × أوأخرنا على هام الأوالي

يطل المسافر في الملكوت على مسخرة حافلة بالشقاء، وليس كالحزن صيفا ثقيل لا يستأن، والشمس السيل وعم الغباء البر والبحر، وشملت الاستباحة الدين والوطن والعرض، فأي صلاة ترددها في ملكوتك، وهي التوأم لقعودك وسجودك خالصا لوجه المطلق؟

الصمت الآن امتياز فلسفي حين تستقوي الشعوذة والغثاثة والنميمة في مزارات البلاد والعباد، وهل كان لك أن تؤثت غير شبر واحد تحت الشمس وأنت من هذه التربة وخبرتها

المنظف؟ هي تربة البلد بالذات، تنسجها عشرات المشاهد والنقايم بين الأكلين والضاحكين والشارين والمتنسمين هواء رمضان وحلوياته

والمتقلبين مع نماذج قبة السوق [1] البشرية، ثم المقامات الصوفية وحضرات السماع، فتتوب عنك العبرات لإيمان صادق دون أصنام أووساطات

غبية. لقد نطقت الشواهد الحجرية والرخامية على السواء: إن كل شيء هباء، لكن الحزن سرمد والحرف معاند والحب قائم كالطود الشامخ يقاوم بتعال واستخفاف عالما مهترنا وقديما بتعبير الراحل محمد زفزاف، وكان لك سحر اللغة كحقاومة من الطراز الرفيع: -التنويعة الأولى: اللي في القلب عالم به الله

- التنويعة الثانية: قل فسدت هاذ الطرقا ودخلها من والي والكلام عاد نزالا لحتايل الهرتالا

كل من جاب حمار يحسبو بجر ابولاهي ما بقا وفر

وين موالها يشاهدو دلفسدا فيها غير حلس واجي ليها

كانت زمان عند الكرام فالشان واليوم السبوعا يرعاو مع الذياب عادو كاع سوبا

كلهم غدارا غزارا [2] - [1]سوق تجاري كان يعد القلب النابض لتازة العتقة

- [2]من قصيدة ملحون للشيخ الغرملي ■ عبد الإله بسكمار

القاص المغربي أحمد هشيمي يصدر خمس مجموعات قصصية جديدة للأطفال

حمد هشيمي أديب مغربي صدر له:

■ حياة سلاحف رواية 1990

■ السلال المسوخ مجموعة قصصية 1997

■ سلسلة حيوانات برية وداجنة 5 قصص 2003

■ سلسلة مغامرات ذئب وحيوانات أخرى 5 قصص م 2005

■ سلسلة مغامرات ذئب وحيوانات أخرى 5 قصص م 2007

■ سلسلة مغامرات ذئب وحيوانات أخرى 5 قصص م 2008

عضو بيت الأدب المغربي . إذا رجعنا إلى حكايات الأستاذ

احمد هشيمي الخمس الصادرة أخيرا عن شركة الطباخة برانت

شوب بمكناس، بالمصحوبة برسومات لفنان مصطفى بنعالية

، بالعنوان كالآتي: منام ذئبة 2 عرس الذئب 3 الأسد المصاب 4

حمامة وديع قصة واقعية الابن العاق الصالح فإننا نلاحظ أن

هشيمي استطاع أن يبلور محصلته الثقافية كمتتبع يقظ لكل

ما ينشر حول أدب الطفل داخل وخارج الوطن، وإن يعصر

تجربته التربوية في المجموعات التي وضعها حقيقا من أجل الطفل

مبني وعنى، فكرة وأسلوبا، وذلك من خلال بناء جيد متماسك في الغالب، وتقسيم مضبوط بين

الجميل والأفكار، بين الوقائع والأحداث، وربط محكم بين أجزاء

وعناصر القصة الحكاية. فسبق الذئب الثعلب إلى

حضرة الأسد وظهر الطاعة والولاء واعتذر عن تاخره وادعى انه كان

مشغولا بمشاكله الخاصة والأسرية ولما سمع الخبر أتى مسرعا للاطمئنان على صحته سيده لكنه في قراره كان الدافع هو الطمع في

الجائزة " الأسد المصاب " ص 7.

صحيح أن المؤلف أولى الطفل أهمية كبرى وذلك من خلال انتقاء

عناصر بنية الثقافة البديلة التي أراد ه من خلالها أن يبحث لنفسه عن

إمكانيات للانسجام، ووضعيات تساعد على تنظيم شخصيته ورض

بنائها الداخلي، وذلك في أفق تحديد تواصل فعال ومتفاعل للطفل

مع محيطه الخاص والعام، لذلك نجد أحمد هشيمي لا يدخر جهدا

وهو يشيد ببناءه التربوي والأخلاقي في سياق خطاب بيداغوجي يمتح

من التربية الخلاقة، و يراهن على جعل الطفل مؤهلا عبر الانفتاح على

عوالم متحررة لاقتحام عصر التكنولوجيا ومسايرا لركب

الحضارة الإنسانية، بإيقاعه السريع والمترادف، حتى ينشأ طفلا خاليا

من أية تركيبة نقص، أو عقدة مرضية تتعثره بالدونية أو الإحباط.

اللافت أيضا في صيرورة الحكى لدى هشيمي محاولته أن يمزج

بذكاء بين السرد والحوار، ولعله توفق بشكل كبير، وهو يكسب

الحيوانات ملامح إنسانية، وهي سمة من السمات التي يجب أن تطغى

في تجربة الكتابة للطفل، و اعتقد أن من شأن هذه الخصوصية أن تكسر

الإيهام لدى الطفل وأن تدفعه إلى التساؤل عن الكيفية التي تمت بها

عملية التشخيص حتى ينسنى له التفاعل مع عوالمها الغريبة والعجيبة

وهو مقتنع وليس مدفوعا تحت طائلة المتعة بلا معنى.

وحيثما كانت العائلة تجتمع لتناول وجبة الغداء ويبحثون عن وديع يجسدونه داخل اصطبل



عزيز باكوش

الحيوانات يداعب الخراف والجديان والعجول الصغيرة ويتحدث معها كما لو أنها عاقلة حمامة وديع ص 7

يبدع الأستاذ احمد هشيمي قصصا جيدة للأطفال حين تكون مضامينها ذات مغزى، وبسيطة

في أسلوبها، عميقة في غايتها، ولذلك

يستطيع القارئ الصغير فهمها، والتجاوب مع خطابها، مادام المعنى واضحا يمكن الوصول إليه مع توالي

القراءة. تتضمن جميع الحكايات أنساقا

قصصية ذات مغزى وعبرة، بمعنى أنها هادفة تحبب للطفل الخلق

الرفيع منذ القراءة الأولى، حيث يكون الصراع واضحا في ذهنه بين

الخير والشر، على أن ينتصر للخير أخيرا، في قالب لا يهادن ولا يساوم

في أن الحياة عمل وجد وكفاح، هي الجهد والاجتهاد، هي الحاضر والمستقبل. " يابني عند كبرك،

ستقف عند الكثير من الحقائق، وتكتشف بنفسك الكثير من الأمور

لا سبيل إذن إلى اليأس والقنوطي عوالم القصص الخمس الصادرة أخيرا.

ولأن الأطفال يحتاجون إلى الأمل، ويطمحون إلى مستقبل باسم

بفرح الآتي، فإن عاصفة من التشويق، ونماذج من الشخصيات

والشخوص الكاريكاتورية التي تتمفصل بين الصفحة والأخرى،

كان لها الدور الأكبر في تحقيق الهدف.

تتمحور القصص الخمس حول قضايا الطفل، وتوضح في مجملها

أخلاقيات يجبان يتعلمها رجال الغد، كالأمانة والصدق والصدقة

الجيدة، إضافة إلى قيم النبيل والشهامة وبر الوالدين

واحترام الكبار.... الخ، وكان شعاره في الحياة هو "لنتبعد عن هموم الدنيا

ولنحبب طفولتنا في مباحثها أكثر". ثمة دعوات مسموعة اليوم

في علاقة بهذا الجنس الأدبي أي الكتابة للأطفال للابتعاد عن

الغموض واعتماد المفردات القريبة مدارك الطفولة، ومناولة

المعاني المحببة إلى نفوسهم وأن تكون الحكاية أو القصة قصيرة

واضحة المعنيدون ليس أو غموض، مزينة بالرسوم الدالة والابتعاد عن

كل ما يصور القساسة والأسلحة والبطولات المتسمة بالعنف

وما من وراء التفرة. ولعل الكاتب من هؤلاء، حيث تبدو الكتابة للطفل

أو عليه، رغبة نبيلة وهامة بالنسبة إلى قناعاته، قد لا يفلح في إنجازها

الكثيرون، ولو أن الباحث المهتم تأمل ما حدث على مستوى هذا الجنس

الأدبي والثقافي الرفيع في بيئتنا العربية منذ عقود خلت، لا شك انه

سيجد أن الطفولة العربية سرقت خلسة من هويتها، حينما تمكنت

ثقافات خارجية زاحقة في إطار العولة وجارفة في سياق ثقافت

غير متوازن، وتول طوم وجيري أو غران دايزر أو... فعل

ذلك نيابة عنا، ولو راجع الفرد منا شبكات التلفزيونات العربية

عليمدار هذه الفترة ستجد أن المحتوى كان دائما واحدا لا

يفادر العنف، إلا ليحط رحاله بباب العدوان، وما إن يقرر

المغادرة، حتى يذوب في الأناثية،... إلى غير ذلك من الأمراض

المجتمعية الخطيرة. إسهامات الأستاذ أحمد

هشيمي عديدة على مدار هذه الفترة. وهو يحاول تنشئة أجيال

لم تشرب ثقافة مجتمعها وترائه وقيمه وعاداته وتقاليد، وكان به

يصرخ، لا تتركوا أجيالنا تنهل من قسوة وعنفوانانية الإنتاج

الأجنبي الغازي بلا ضفاف، يكفينا أننا بسياستنا

تولينا تربية الأبدان، وتركنا للغرب تربية

العواطف والقيم والوجدان وهو أمر لا يمكن أن يستمر.

مراحل طفولة التي يسعى الهاشمي في بائها "فيها الروح

والنفس مفعمة بعالم الخيال والخصب، اليس كل مبدع في

داخله الطفل الصغير الذي كان. "الكتابة للأطفال تحتاج هذا

الطفل بخياله وحيويته، الرحمة الشفقة العطف الوفاء حب الوطن

الانتماء تقمص شخصية شهيد..... الخ

القراءة في أدب الأطفال الراقي وليس الشائع حاليا الذي يربى

الحس على حساب الوجدان والقيم، القراءة هي السبيل الأول.